

روح المعاني

وقوعه من المعارف لا سيما مثل الخليل E وقد صرحوا بأن طلب المغفرة للمشرك طلب لتكذيب
ا سبحانه نفسه والحديث ظاهر في أنه E يطلب ذلك له يوم القيامة ولا يأس من نجاته إلا بعد
المسخ فإذا مسخ يئس منه وتبرأ .

وأجاب الحافظ ابن حجر عن المخالفة بجوابين بحث فيهما بعض فضلاء الروم ومن الغريب قوله
في الجواب الثاني : إن إبراهيم E لم يتيقن موت أبيه على الكفر لجواز أن يكون آمن في
نفسه ولم يطلع E على ذلك ويكون وقت تبريه منه بعد الحالة التي وقعت في الحديث فإنه
مخالف مخالفة ظاهرة لما يفهم من الآية من أن التبين والتبري كأن كل منهما في الدنيا
وأجاب ذلك البعض بأن لا نسلم التخالف بين الآية والحديث وإنما يكون بينهما ذلك لو كان
في الحديث دلالة على وقوع الإستغفار من إبراهيم لأبيه وطلب الشفاعة له وليس فليس وقوله :
يارب إنك وعدتني إلخ أراد به E محض الإستفسار عن حقيقة الحال فإنه إختلج في صدره الشريف
أن هذالحال الواقعة على أبيه خزي له وأن خزي الأب خزي الإبن فيؤدي ذلك إلى خلف الوعد
المشار إليه بقوله : إنك وعدتني أن لاتخزيني يوم يبعثون وأنت خير بأن الخبر ظاهر في
الشفاعة وهي إستغفار كما يدل عليه كلام المتكلمين في ذلك المقام .

ويزيد ذلك وضوحاً أن الحاكم أخرج عن أبي هريرة أيضاً وصحه وقال على شرط نمسلم : أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : يلقي رجل أباه يوم القيامة فيقول : يا أبت أي ابن
كنت لك فيقول : خير ابن فيقول : هل أنت مطيعي اليوم فيقول : نعم فيقول خذ بازرتي فيأخذ
بازرته ثم ينطلق حثيأتى ا تعالى وهو يفصل بين الخلق فيقول : يا عبدي أدخل من أي
أبواب الجنة شئت فيقول : أي رب وأبي معي فإنك وعدتني أن لاتخزيني قال فيمسح أباه ضبعا
فيهوي في النار فيأخذ بأنفه فيقول سبحانه : يا عبدي هذا أبوك فيقول : لا وعزتك وقال
الحافظ المنذري : إنه في صحيح البخاري إلا أنه قال : يلقي إبراهيم أباه وذكر القصة إذ
يفهم من ذلك أن الرجل في حديث الحاكم هو إبراهيم E وطلبه المغفرة لأبيه فيه وإدخاله
الجنة أظهر منهما في حديث البخاري وما ذكره الزمخشري مخالفا على ما قيل : لما شاع عن
المعتزلة أن إمتناع جواز الإستغفار للكافر إنما علم بالوحي لا بالعقل لأن العقل يجوز أن
يغفر ا تعالى للكافر ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب : لأستغفرن لك ما لم
أنه لا ينفع في هذا الغرض إلا إذا ضم إليه عدم علم إبراهيم E ذلك بالوحي إلى يوم القيامة
وهو مما لا يكاد يقدم عليه عاقل فضلا عن فاضل .

وأجاب بعض المعاصرين أن إبراهيم E كان عالما بكفر أبيه ومتيقنا بأن ا تعالى لا يغفر

أن يشرك به إلا أن الشفقة والرأفة الطبيعية غلبت عليه حين رأى أباه في عرصات يوم القيامة
وعلى وجهه قترة فلم يملك نفسه أن طلب ما طلب ونظير ذلك من وجه قول نوح E لربه سبحانه :
رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ولا يخفى أنه من الفساد بمكان ومثله ما قيل : إنه ظن
إستثناء أبيه من عموم إن ا لا يغفر أن يشرك به لأن ا وعده أن لا يخزيه فقدم على الشفاعة
له ولعمري لا يقدم عليه إلا جاهل بجهله .

أما الأول فلأن الأنبياء عليهم السلام أجل قدرا من أن تغلبهم أنفسهم على الإقدام على
ما فيه تكذيب ا تعالى نفسه وأما الثاني فلأنه لو كان لذلك الظن أصل ما كان يتبرأ منه
عليه السلام في الدنيا بعد أن تبين له أنه عدو ا وهو الأواه الحليم